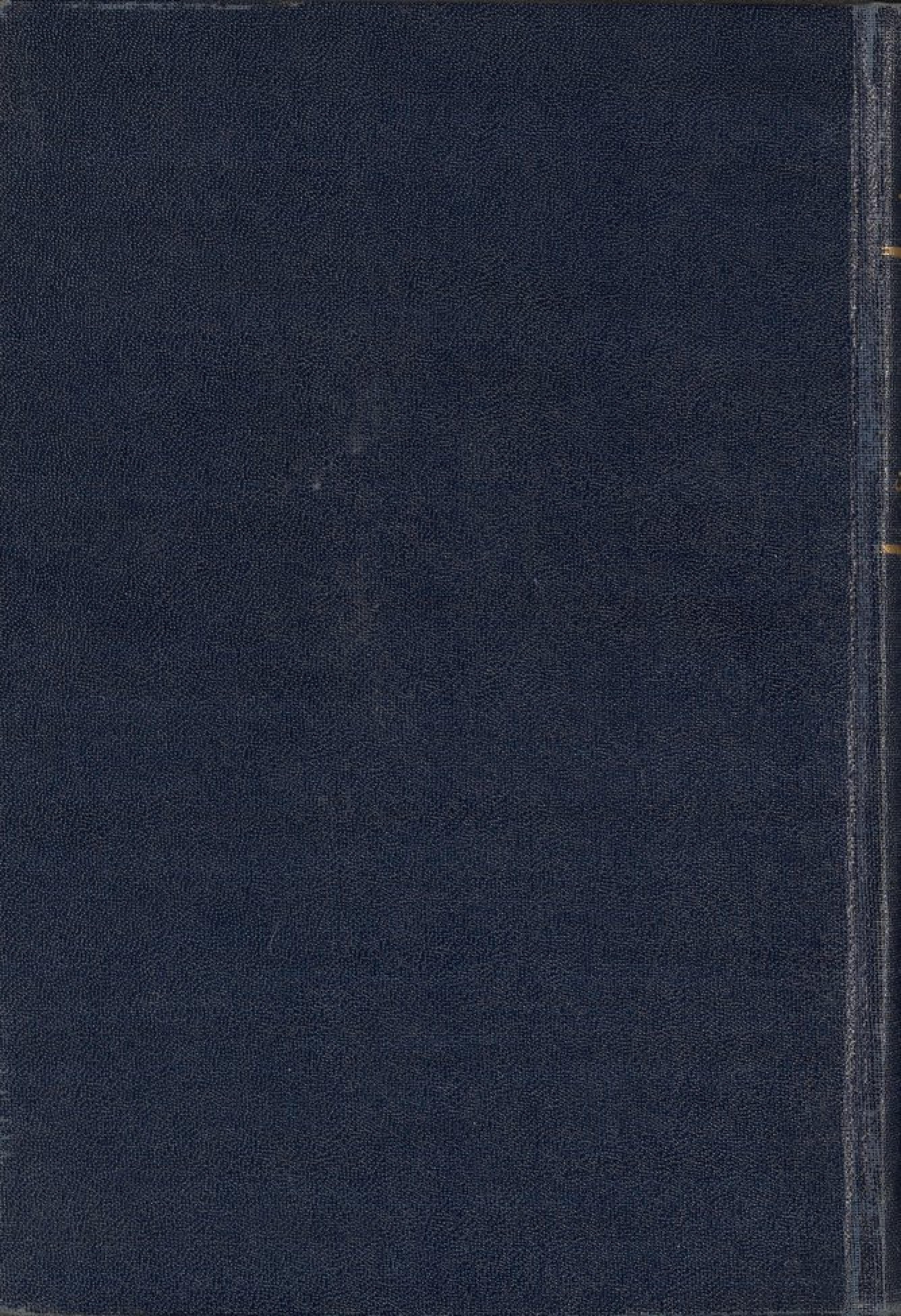
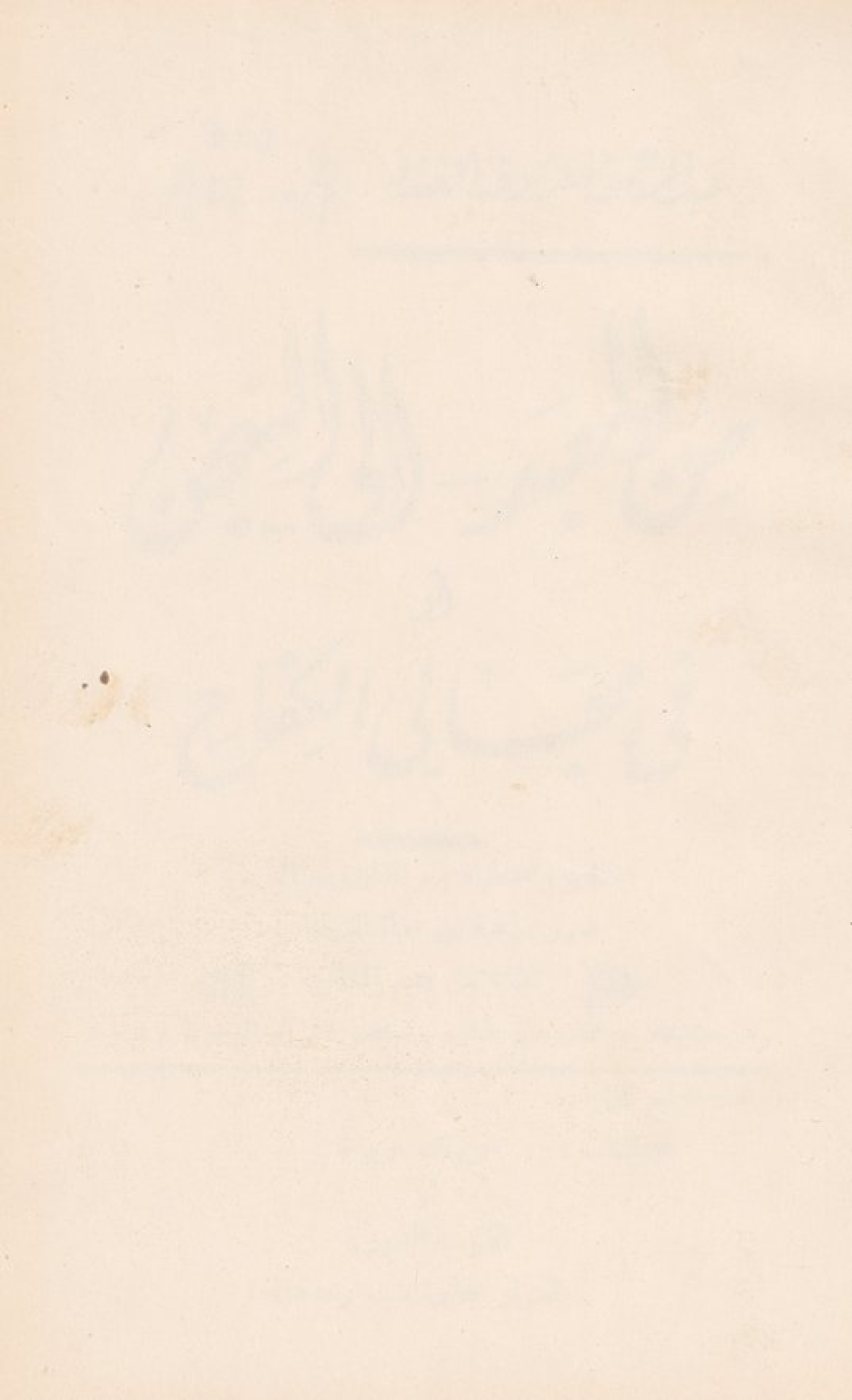
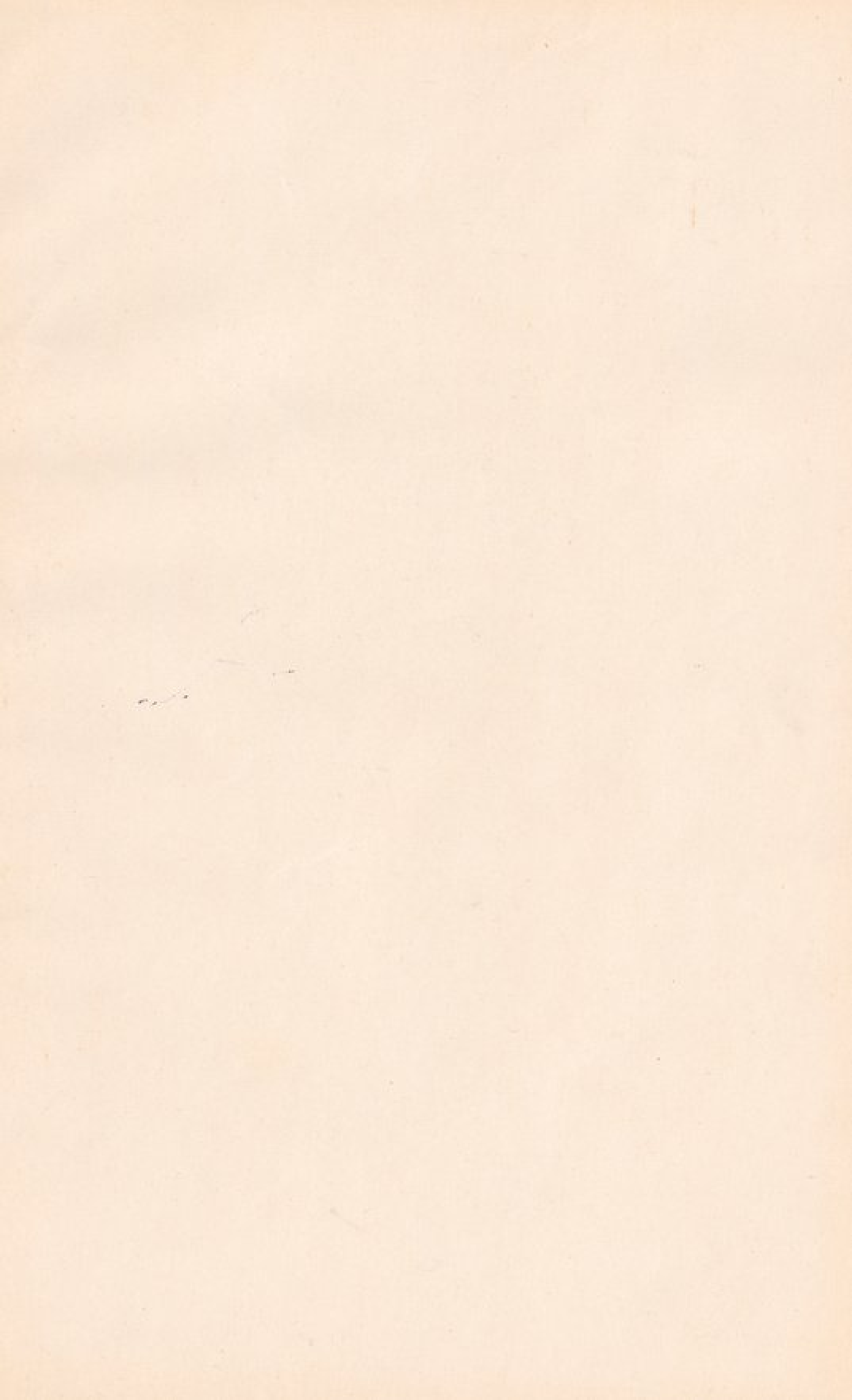








عبد الرحمن معروف العدو



عذاب واضطهاد .. اقذار وجرائيم ..

صور مرعبة عن حياة السجناء ..

اطلبه من جميع المكاتب

ومن متعهده « محمد رستم طباره » قصر الحمراء الزيتونة ـ بيروت

تحت الطبع للمؤلف

كتاب : حزبيات موبوءة

او

القومية السورية

اسرار خطيرة ... ومدهشة !

واخي ـ وزميلي في الكفاح ـ الاديب السيد عبدالرحمن العدو ـ عدو الاستعمار !! ـ مؤلف هذه الرسالة ، على الفصول التي دبجها عن زيارته او « سياحته » لسجن الرمل ؛ فاردت ان اساهمه العمل في نشر هذه الرسالة ، وان اتولى وضع مقدمتها ، خصوصاً واني قد اصبحت « الخبير الاختصاصي » ... او « الكيماوي المحلل » لحالة السجنون والسجناء ...

وسيرى القارىء في هذه الرسالة الصغيرة الحجم العميمة الفائدة ، صورة بشعة فظيعة واقعية عما يعانيه السجناء النازلون في سجن الرمل البؤساء وما يلاقونه من ضروب الاعنات والارهاق .. على رجاء ان يشق هذا الكتاب طريقاً الى العمل ، لاصلاح احوال السجون والسجناء ، ورفع مستواهم وتحسين حياتهم النكرة في قبور الاحياء المظلمة .

والحق ان مثل هذا الكتاب ، كان يجب على الاخ ـ عدو الاستعمار ـ ان يسعى لنشره من قبل ، للدعاية لتحسين احوال السجون والترفيه عن السجناء .

بيد ان مشاغل الحياة والعمل ، كانت أقسى من ان

تسمح للصديق باداء هذا الواجب ، الى ان سنحت الفرصة له اخيراً فبادر الى نشر هذه الرسالة الموجزة وفتح باب البحث والنشر ، فحملني على مشاركته في عمله الانساني ، مختاراً متطوعاً ، واني لمقدراً له جهوده وغيرته الوطنية والانسانية ، هذه الغيرة النبيلة التي دفعته الى الانتصار للضعيف والمظلوم ، واغاثة السجين المنكوب البائس .

وكثيرون ممن تسنى لهم زيارة السجون ، يعرفون ان البؤر والمهاوي السحيقة ، ما تزال — على الرغم من تطور الحياة في الوطن السوري وترقيها — قبوراً ورموساً للاحياء الاموات الذين يقذف بهم الدهر اليها ؛ ومنازل للهم والاضطهاد والعذاب الاليم ، يبتدىء هذا الهم والعذاب ، في نظارة التوقيف بما يلاقيه الموقوف من حجز على الحرية شديد وضرب فادح وعذاب اليم ، ومن حرمان من الكرامة والطعام والفراش ، وانغماس في الاقذار والجراثيم والروائح الكريهة القاتلة ، ثم ينتهي في الاغلب ، الى قبور السجن المرهقة وانظمته الجائرة ووطأة حراسه للخنيفة ، حيث يحرم السجين كثيراً من اسباب الصحة والراحة

والاطمئنان والتهذيب .

ولقد اوضح الصديق المؤلف في رسالته ، كثيراً من الاذى والاعنات ، الذي يصيب السجين — موقوفاً او محكوماً — من الارهاق والاضطهاد ، في مختلف مراحل توقيفه وحبسه ، ورجاء ان يهيب ذلك بالرأي العام ، والسلطات المسيطرة ، الى تلافي تلك الويلات والشرور ، ودرء تلك المظالم عن نزلاء القبور الاحياء .

واذا كان المؤلف قد تناول شخص مدير السجن او غيره من المأمورين ، بالنقد الشديد ، — مع العلم ان اكثرهم أصدقاء خلص له — فبديهي ان هذا النقد ، لم يصدر بدافع حقد او ضغينة ، ولا للنكاية والتشهير ، وانما صدر عن الرغبة في اظهار مساوىء الادارة المسيطرة على امور السجون ، والانظمة المتبعة فيها ، رغبة في تعديلها وتحويرها الى وجهة انسانية اكثر رأفة ورحمة بهؤلاء السجناء التعساء المنكوبين واضمن لتهذيبهم واصلاح نفوسهم واخلاقهم ، حتى اذا تسنى لهم الانطلاق من السجن اخيراً ، عادوا الى الحياة النظامية الهادئة بعيدين عن الاجرام والشرور . !!

هذا من حيث المجرمين العاديين اما السجناء السياسيون فهم بلامراء يستحقون الاهتمام والرعاية اكثر من غيرهم ، ومع هذا فان ادارات السجون تعاملهم بقساوة أشد وتحرمهم كثيراً من اسباب الطمأنينة والراحة ، لزعمها انهم «مشاغبون ومحرضون مخيفون» غير ان هذه المعاملة القاسية لا تضعف عزائمهم بل تزيدهم اندفاعاً وحماسة في متابعة نضالهم ، وتعزز ايمانهم بمبادئهم وعقيدتهم السياسية ، وتحملهم على المضي في جهادهم ، حتى في داخل السجون .

واذا كنا نحن نشكو خاصة من سوء المعاملة التي يلقاها السجين السياسي في بلادنا ، ونطلب توفير الحرمة له ، وفصله عن السجناء العاديين ، وتأمين وسائل الراحة والمطالعة له مثلا فلا يفوتنا ان نأخذ على رجال الادارة الاشداء قساوتهم وشدتهم هذه التي تذكي الحماسة في القلوب ، وتقرب بين السجين السياسي والسجين العادي ، ليتعاونا معاً في النضال لاصلاح احوال السجون ، وتعديل نظامها على وجه يضمن لجميع السجناء اسباب الحياة والصحة والراحة والثقافة ويدرأ عنهم المكاره والآلام والعذاب او يخفف من وطأتها الا انها تأتي

في اغلب الاوقات بنتائج سيئة مؤلمة لا نعتقد ان رجال الادارة المذكورين يريدونها او يفرحون لها .

وهذه هي الغايــة الوحيدة التي ارادها مؤلف هذا الكتاب من رسالته ، وكل ما يريدان يلفت نظر الرأي العام الى التفكير والاهتمام بها ، عسى ان يعمل ابناء الامة جميعاً لتحقيق ذلك الاصلاح الضروري في السجون الحاليـة ولتحويلها من بؤر للاضطهاد والعذاب الى ملاجىء للاصلاح والتهذيب أسوة بسجون الامم المتحضرة الراقية .

احمد زكي افيوني



تمهيد

يساق المرء احياناً مطواعاً ومرغماً ، بحكم ظرف من الظروف القاهرة او بدافع ازمة كريهة — وما اكثر بضاعتهما واروج سوقهما في هذه الايام — الى عتبة السجن ليقضي مدة معينة بين جدرانه الرهيبة ، وقد حددت المحاكم المختصة ايام محكوميته ، كما حددت القوانين «تكبيل» حريته — الى حد ما — ومعاملته معاملة استثنائية لا تخلو من مرارة مادية كانت او معنوية .

غير ان « المهيمنين » على ادارة شؤون هؤلاء التعساء اي السجناء — وهم اخوان لنا في الانسانية والوطنية — يأبون الا ان يتمادوا في ارهاقهم ، كما حدث ويحدث في سجن الرمل مما سأرويه في هذه المذكرات من حقائق استطعت ، كسجين ، ان اخترق حجبها بنفسي واشهد

ان الحالة السيئة التي وصل اليها سجناء بيروت لا يسهل احتمالها على الضواري ..

قلنا ان القائمين على شؤون السجناء كثيراً ما يتمادون في غطرستهم ، والضغط في معاملتهم لهؤلاء « المنبوذين » ويغالون في ارهابهم وتضخيم خطاياهم وقد خرجوا بهم من محيط النظام والقانون وبلغوا بهم حداً لا تحتمله النفوس البشرية ، دون مامناسبة البتة غير الاستماع للنزوات البشرية الوحشية التي لم تزل تعذب الانسان وتعبث به ..!!

ورب « متفلسف » ممن لم يذق « المغراية » يحسب ان الشدة والعنف هما البلسم الشافي للسجناء ، بدون استثناء . او هما بمثابة ردع وزجر لهم . وهذا زعم يأباه المنطق ويبطله البرهان . واعتقد جازماً ان صاحب هذه النظرية قد افلس تماماً من التفكير الانساني ..

والواقع ان السجناء باكثريتهم هم احوج ما يكون الى اب او طبيب ماهر لين ، الى نفس عطوفة رحيمة تؤازرهم في محنتهم وان النفوس الانسانية مهما بلغت من فساد الطبع والعادة لا تحتمل الضيم الا الى حد يدخل تحت الطاقة ويسعه الامكان . فاذا تجاوز ذلك كرت

النفوس الى قواهـا ، واستأسد ذئبها ، وتنمر ثعلبها ، وانفجرت ... ومن المحقق ان تجاوز الحد في تعميم الاعتداء ينفي الفرد ما بينه وبين القائم على اموره .

وهكذا فقد حملوا السجين ما ينوء تحت ثقله ، وشدوا عليه بما لا يستحق ، والزموه ما ليس في قدرته تحت اسم القوانين « المفبركة » ، المختلفة ... يهيئون بكل ذلك وسيلة للنيل منه واحراجه للخروج عن هدوئه .

لقد درست كل هذه العوامل عن كثب وشعرت بها اكثر من مرة . لذلك جئت احللها في هذه المذكرات واروي التأثيرات المختلفة التي توجدها وتغذيها . واود ان لا اتجه في هذه الوقائع الا الى الناحية الانسانية الاصلاحية النزيهة المخلصة ..

بيروت في ٢ حزيران سنة ١٩٣٦

عبد الرحمن العدو

في الطريق الى السجن

في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ٩٣٦
كان اليوم المشهود في بيروت ، يوم الاضراب العام الذي
اعلنته عروس الساحل السوري تضامناً مع المدن السورية
المضربة ذلك الاضراب التاريخي الطويل الامد وتأييداً
للاماني القومية المنشودة ، واحتجاجاً على المآسي الدامية التي
رافقت ذلك الاضراب المستفحل يوماً بعد آخر ، والمستمر
بدون هوادة ولا ألم .

في صباح هذا اليوم ، يوم الجهاد افقت مبكراً على
صوت « معروف غازي » — طفلي الصغير — الذي اعتاد
من قبل ان يوقظني كل يوم مع الفجر ، واعتدت ان
اتهرب من ايقاظه وتنبيهه لي في مثل هذه الساعة طلباً
للراحة وتعويضاً عن الليالي الساهرة الطويلة « السمر » ??
اما هذه المرة فقد ابيت ان اذعن للرقاد ، واجبت

بلبلي الصغير .

— لبيك ايها الحبيب ، لبيك ، ثم لبيك ايها الوطن المعذب ، في سبيل الحرية والحق ! .

* * *

افقت على هتاف فلذة كبدي الصغير وايقاظه لي ، وكأني به يستحثني على اداء الواجب ، كمن يفيق من حلم طويل ، فقد كانت ليلتي مملوءة بالهواجس والرؤى اذ كنت على يقين ، او ما يشبه اليقين من اعلان الاضراب صبيحة يوم الجمعة ، وقد لبثت افكر طيلة الليل في رقادي واحلامي في هذا الاضراب ومصيره ، ثم استيقظت على هذه الفكرة ، فكأن صوت ولدي منبه اخرجني من عالم الرؤى والخيال ، الى عالم الكفاح العملي ، تلبية للواجب والوطن .

وكان الجو قاتماً جداً ، والمطر ينهمر بغزارة وشدة منذ الليل ، كأنه يشارك الشعب السوري المجاهد في شعوره وآلامه .

وكان مشهد السماء الحالكة والظلام المخيم قد جعل

من المدينـة كلها ما يشبه السجن الذي نحن صائرون اليه في ذلك اليوم ، للمرة الرابعة ، او الخامسة ، في هـذا العمر القصير ...

ومرت اربع ساعات ، وانا اداعب البلبل الصغير « غازي » — غازي العدو — كأني كنت اشعر باني في هذه الساعة مودعه الى امد بعيد غير محدود . وسأحرم فيه نجواه وتغاريده في الصباح والمساء لاستمع الى اصوات حراس السجن وزبانيته في حبس الرمل او بيت الدين .

واحست الوالدة بما احس به في نفسي وخشيت علي من « المغامرة » الجديدة وارادت ان تضن بي في هـذه المرة فأطبقت عليّ الابواب والنوافـذ قائلة « سأسجنك اليوم هنا لاخلصك من سجن الرمل ولن ادعك تخرج »

وكانت كلمتها صريحة وحازمة ، ولكن لم اشأ ان اجيب عليها بشيء ، بل كنت موطناً النفس على ان لا اصغي في هذه الساعة العصيبة الا الى صوت الوطن ، وصوت الامة المجاهدة وصوت الحرية والحق . تاركاً مخاوف النساء . ولو عصيت امي المشفقة علي وقرينتي الباكية مني ..

تركتهما وعصيت ارادتهما الى اجل ... وحسبهما بعد

حين الرضى والتسليم للواقع .

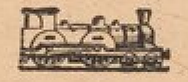
وفي ساعة من الغفلة تركت الدار الى حلبة الكفاح في المسجد العمري الكبير، حيث احتشد الجمهور والشباب العربي المجاهد، وكان هذا الاجتماع شعبياً اكثر منه دينياً. وكان اول مظهر للتضامن القومي الجديد في بيروت المنكوبة بالحزبيات والعنعنات او ما يشبه العنعنات الموبؤة بالاغراض والاهواء، والوطنية المائعة.

وقد نوهت سابقاً لا بد ان اعتقل ولو لم اخطب او اتظاهر، ولو لم ادع الى تظاهرة، وذلك للحيلولة دون حضوري الاجتماع الشعبي العام في الجامع العمري الكبير.

لهذا لم احضر الى المسجد الا قبيل موعد صلاة الجمعة الجامعة بقليل. حيث كان المسجد وباحته الكبرى قد اكتظت بالناس واصبح عسيراً جداً على رجال الشرطة والتحري ان يقبضوا على « غريمهم » .

ولم اكد ادخل الى المسجد صحبة الاخ « محمد رستم طباره » حتى علقت انظار هؤلاء بنا، كما اخذ الشباب والجمهور يحتشدون حوالينا من كل صوب، وصدورهم تتقد ايماناً وحماسة وحباباً بالتضحية في هذه الساعة الرهيبة

وسيعرف القارئ، من الفصل الثاني وما يليه من الفصول كيف انفجرت نفوس الاهالي وخرجت المظاهرة القومية الرائعة من المسجد وكانت سبب اعتقالنا .



اضـــراب بيروت

وتظاهرات الشباب

افاقت بيروت تلك المدينة الساذجة الهادئة ، صبيحة يوم الجمعة الواقع في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ ، على دهشة ، من اقفال متاجرها وحوانيتها .. ومن غير سابق انذار .. ولماذا ؟؟؟

لقـد سرت اليـها عدوى الاضراب ، وتشربت « ميكروبه » من هواء بردى والفيحاء اللاهبين . !!

وكنت ترى القوم ، وقـد عقدت السنتهم ، رهبة الموقف وغرابته ، حلقات حلقات موزعة هنا وهناك ، وعلى جانبي الشوارع الكبيرة وارصفتها العريضة ، متهامسين ، مستفهمين ، وايديهم في جيوبهم مدسوسة ، وعيونهم محملقة مجلدة ، ورؤوسهم لا تستقر على الاكتاف خشية « المذياع » المضخم للتنهدات .. !

وما أزفت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حتى هرعت الجماهير الى المساجد مستجيبين الى دعوة المؤذن ان « حيا

على الصلاة .. حيا على الفلاح ..

« و كعادتي » هرولت صحبة الاخ السيد « محمد رستم طباره » للجامع العمري الكبير لاداء « الفرض » .. مبتهلين الى المولى عز وعلا ان يزيل تلك السحب من سماء البلاد .

وما كاد إمام المسجد الاستاذ « المحمصاني » يلقي بسلامه الملائكي يميناً ويساراً ، حتى رأيتني وبحالة عصبية ، فوق درجات المنبر .. واعظاً .. ومرشداً .

و كأني بالمؤمنين قد ظنوا — وان بعض الظن اثم — ان الواقف امامهم هو احد ائمة الوعظ والارشاد في العصور السالفة فعلا الهتاف باسم الله اكبر الله اكبر . وخطب بعدي الاخ الكريم والوطني الصميم « محمد رستم طباره » فالقى خطاباً ملتهباً حماسة ، وقد كان في القائه ومعانيه جد مثير فزاد الحماسة المتأججة في النفوس اتقاداً وقوة ، و كنا ننتظر ان ينتهي الاجتماع على « خير » ؟ ؟ فحاولنا التسلل من بين تلك الكتل البشرية والجموع الذاخرة المتماوجة في صحن الجامع وبهوه ، على ابوابه وخارجه .

وما كادت قدمانا تصلان بنا الى العتبة الشرقية ،

وشرعنا ننتعل الحذاء الى حيث ... حتى دوى في الافق صوت احد الشبان المتحمسين هو السيد « امين كامل سلام » هاتفاً تحيى سوريا تا ...! فردد القوم نـداءه ثلاثاً ثلاثاً .

وهنا هجم الناس عليه واحتملوه كما احتملوني والاخ « محمد رستم طباره » .. فوق الاعناق .. وساروا بنا في شكل مظاهرة كبرى هاتفين مكبرين .

وما كادت تلك المظاهرة الشعبية الكبرى تصل الى ساحة النجمة بجانب الدار النيابية الفخمة المواجهة لساعة العبد الشهيرة حتى برزت لها شرزمة من رجال الشرطة ، عدد افرادها سبعة وثامنهم معاون المفوض هو السيد « جميل ابي سعيد » فأقتحمت الصفوف بخوذها وعصيها ، جاعلة هـدفها الهجومي الاول القاء القبض عليّ .. بصفتي قائد الطليعة — ما شاء الله — .. وبدون مقاومة سرت وبعض الشباب المقبوض عليهم في « المعركة » الى ... المعقل الجديـد .. الى « البرلمان » ؟؟ بعـد ان رأينا تفرق الصفوف بآحادها وآلافها ..

ومما يضحك حقاً ويبكي معـاً ان الدار التي خلقت

لتكون ملجأً للحرية اصبحت لها ولقائلها معقلا ... وهذا ما حدى النائب الجريء الاستاذ « ميشيل زكور » ان يثور على توقيفنا لا سيما في هـذه الدار وينبري للمعاون منتقداً بقوله .

« هنا يأتي الشعب ليبث شكواه وينشد حريته . . لا لكي يعتقل شبابه واحراره !! .

واظنها كلمة « مؤثرة » . فعلت فعلها في نفس المعاون الذي دعانا بكل ادب الى الخروج معه . حيث كانت بأنتظارنا سيارة ، لتقلنا .. الى مخفر البرج .

وما كدنا نحتل مقاعدنا داخل السيارة ، حتى رأينا صفين من رجال « البوليس » على رفرفيها اشبه بحالة « سلملك » والناس على جانبي الطريق مشدوهون .. حتى خلنا انفسنا في موكب رسمي « « يخزي العين » فطغت على مشاعرنا موجة اعتزاز وسرور ، واخذنا ننشد : انت سوريا بلادي .. والنشيد الوطني المشهور « يا ظـلام السجن خيم » الذي نظمه صاحب جريدة « القبس » الدمشقيـة الاستاذ نجيب الريس في السجن عام ١٩٢٢ في مطلع الحركة الوطنيـة

بعد احتلال الافرنسيين لبلادنا وهذا هو .

ياظـــلام السجن

يا ظلام السجن خيم　　انىا نهوى الظلاما
ليس بعـد الليل الا　　فجر بـدر يتسامى

ايها الحراس رفقاً　　واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء　　منعه كان حراما

ايه يادار الفخار　　يا مقر المخلصينا
قـد هبطناك شبابا　　لا يخافون المنونا

وتعاهدنا جميعاً　　يوم اقسمنا اليمينا
لن نخون العهد يوماً　　واتخذنا الصدق دينا

يا رنين القيد زدني　　نغمة تشجي فؤادي
ان في صوتك معنى　　للاسى والاضطهاد

لست والله نسياً　　ما تقاسيه بلادي
فاشهدن يا نجم اني　　ذو وفاء ووداد

في المخفر

ما كدنا نترجل من السيارة وندخل المخفر حتى انبرى لنا « سكرتيره » السيد « سلامه عازوري » . وبصوت عال اجش بادرنا بقوله ..

نحن هنا . وفي لبنان .. ولبنان قد انفصل نهائياً عن سوريا .. اسمعتم !! وبشيء من البرودة الممزوجة بكثير من الالم اجبته :

ـ لسنا الان في محاضرة سياسية ياصاح .. لك ان تحقق معنا هل فعلتم كذا . وهل قلتم ذلك .. وبعد هذا الكل مذهبه وعقيدته .

وبعد اخذ ورد طويلين بوشر بالتحقيق التمهيدي الذي حضره كل من مستشار الشرطه السيد « بلير » والشيخ « الدحداح » مندوباً من قبل دوائر الامن العام .

وبعد ثلاث ساعات تقريباً ختم التحقيق الاولي ، الا ان المغازلات التليفونية « ما بين مختلف الدوائر

الرسمية منها وغير الرسمية لم ينقطع لها سيل فكان جرس التلفون يقرع ويسكت ، ثم يقرع ، ونحن نتلهى بالنظر الى مضربته الصغيرة ترقص وتدور ثم تضج وتعربد !

واخيراً .. صدرت الاوامر « الشاهانية » بأخلاء سبيل جميع المعتقلين ما عدا اثنين انا والاخ محمد رستم طباره الرفيق الدائم نظراً « لسوابقهما » المتعددة .



بـــين انقـــاض النظارة

-

في الساعة الثامنة ليلاً نقلنا لغرفة النظارة ، المواجهة لصالة « بلانش » الشهيرة .

غرفة تحت الارض ــ لا شبهت لك ــ كالقبو تماماً ، لا ينفذ اليها الهواء اشبه بالمرحاض ، او هي المرحاض بعينه ، وكدنا نغرق ، ــ ولا مؤاخذة ــ في السوائل المنسلة من بيت الخلاء : هذا وقد سبق ان استعرضنا اثاثها ومحتوياتها ، ايام مقاطعة شركة الجر والتنوير الثانية « من غير اليوم » .

وأول من تبيناه من زبائن تلك الصالة في هذه المرة ، هو الاستاذ المتخصص ، « سامي سليم » . فكان تلاق وكان ترحاب .

شو القصة يا استاذ .. خير انشاء الله ؟؟

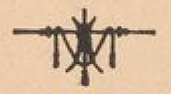
بسيطة ، بسيطة ، لقد دعوت لتآلف الطوائف ..

فكوفئت بمثل ما كوفئتم به .

وهنا اطرق طويلا ثم استطرد قائلا .

— نعم . الا ترى يا أخي ، انه يجب علينا ان « نحتج » على رطوبة الشتاء في هذه المرة ، وقد احالت فرق « البق » الخفيفة الدم المؤنسة على التقاعد . ؟؟

— طبعاً ، طبعاً .. لكن اظنها اباحت لشرازم « القمل » ان تقوم بتنفيذ مأموريتها المضاعفة .. ؟



في الدائرة الصفراء

❋

تركنا «اوتيل سان جورج» احم .. صباحاً ، وفي حراسة رجال الامن ، الى دائرة الادلة الجنائية ، ومعاصمنا محلاة بالاساور الذهبية .

وفي غرفة قاتمة الجدران والوجوه .. هائلة الطلعة ينتحر امام رهبتها بصيص الامل ، ويبعث شبح اليأس ، حشرنا حشراً ... ثم نودي على كل منا لوحده الى الدهليز «الفوتوغرافي» الاصفر .. وامام عدسة التصوير المفزعة ، اخذت لنا صور عدة ، وعلى اشكال ، وفي شتى الاوضاع «والبوزات» .

— دير على جنب . كمان !. كمان !!! . من خلف .

وبعد انتهاء «النوميرو» كما يحدث في الكيت كات «تماماً» اخذت بصمات اصابعنا وطوابع ايدينا على ورق مخصوص ليصير نقلها وضمها ، الى سجل اصحاب السوابق .. المجرمين والسفاحين !

— مجرم بالقوة رضيت ام ابيت ..

وفي الساعة التاسعة تماماً عدنا الى النظارة وعاد الاستقبال « استقبال الصراصير والقمل » لكننا اعتذرنا في هذه المرة وشكرنا تلك الحفاوة البالغة ، وخرجنا على سيارة (اجرتها من كيسنا) المثقوب الى قصر العدل ...



في سبيل الحريـــة

انتقلنا الى قصر العدل صباح السبت ، — بعد مرور عشرين ساعة عـلى توقيفنا — لأخذ افادتنا مجدداً عند المحقق الاجنبي ، فأنتظرنا جنابه زهاء خمس ساعات تقريباً في غرفة لا تقل رياشاً ، ومناخاً ، عن زميلتها غرفة النظارة . وفي الساعة الثانية بعد الظهر طلبنا المحقق وشرع بأستجوابنا حالا ، وبعد اللتيا والتي ، احالنا — وبدون هدنة — الى المحكمة البدائية المختلطة ، وفي الساعة الرابعة زوالية انعقدت الجلسة وقد ترأسها القـاضي الفرنسي السيد « دورلاك » الذي اجاب مطلبنا في تأجيل الدعوى لنتمكن على الاقل من اجراء توكيل محامي الدفاع .

وفي يوم الثلاثا الواقع في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ وهو اليوم المحـدد لاعطاء قرار الحكم في قضية الحزب « السوري » القومي مثلنا امام المحكمة مجـدداً فكانت صدفـة غريبة اذ جمعتنا .. تحت انظار الدرك ويقظتهم

طبعاً .. بالزعيم ! « انطون سعاده » ورفيقيه الاستاذين زكي النقاش ، ونعمه تابت .

وفي الساعة الحادية عشرة وبعد ان اعطي القرار في قضية الحزب المذكور ، افتتح الرئيس السيد « دورلاك » جلستنا .

— عبدالرحمن .. لقد هتفت بحياة الحرية ، وبسقوط الاستعمار ، اليس كذلك ؟؟

وبدون تردد اجبته :

— لا حاجة بنا للتنديد بالاستعمار وبسقوطه .. حيث على ما نعتقد او نحب ان نعتقد .. ان لا استعمار في الديار .. هذا وان كان الهتاف بأسم الحرية يعد جريمة يعاقب قائلها ، فانا ورفيقي على استعداد تام لتحمل مسؤوليتها ، ولا نتورع ان نهتف مجدداً ، وهنا امام القضاء لتحي الحرية ، لتحي الحرية ، تلك الحرية التي ما جاءت فرنسا بلادنا الا لتغذيها في نفوسنا ! ..

— .....

ولما سئل الاخ طباره عن « التهمة » نفسها اجاب بمثل ما اجبت به .

وبعد التداول ، ومطالعة المدعي العام ، ومرافعة محامي الدفاع ومنهم الاستاذ الكبير عبدالله قبرصي الذي اظهر براعة فائقة في دفاعه ، كان لها الصدى المستحب عند القضاة والجمهور معاً ، لفظ الرئيس الحكم ، بسجن كل منا خمسة عشرة يوماً ، باسم الله والوطن !.

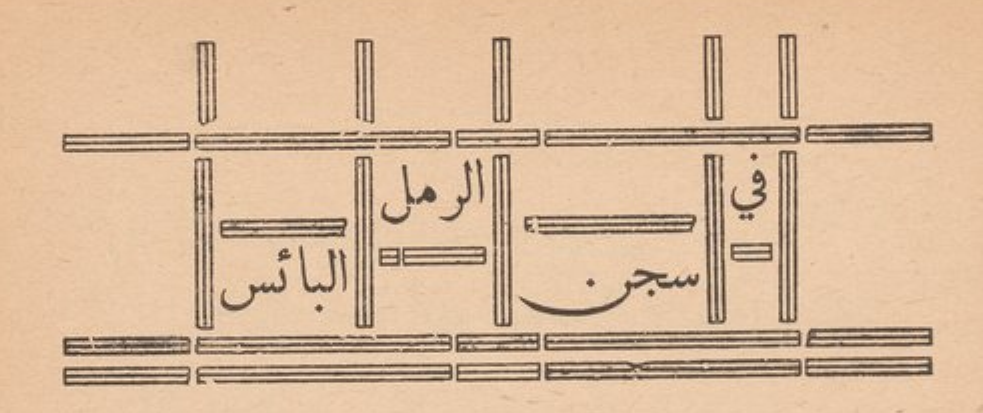
نخرجنا من القاعة وفي حراسة رجال الدرك مغتبطين ولسان حالنا يقول :

مشيناها خطى كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

فني سبيل سوريا العربية المجاهدة المناضلة
وفي سبيل القومية العربية الشاملة





في ليلة شاتية، حالكة السواد لا تنفذ منها عين الثريا، ولا تخرق حجبها سهام النجلاء، فالرياح والصواعق تتلاطم تلاطم الامواج في الصخور والناس قد عكفوا في اوكارهم خوفاً واحتراساً من ثورة تلك الليلة الصاخبة الهائجة، في تلك الليلة انفرج «قبر الاحياء» الواسع، لابتلاع «وجبة» جديدة.

وتحت ظلال الحراب المسنونة وبريقها يقدح شرراً في عتمة الليل يكاد يأخذ بالافئدة قبل الابصار، انسللنا الى غرفة الادارة في سجن الرمل. فأستقبلنا «القومندان» السيد «محمد جواد». بترحاب زائد...

والحق انه جواد في كل شيء، في الادب والشعر، كما في القانون والنظام، فقد قضينا زهاء من ساعة وجنابه يطري «وطنيتنا» ويقرظها، شعراً ونثراً!!!

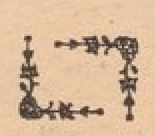
وبين خشخشة الحلقات الحديدية ومعناها على الرحب

والسعة وصراخ المأمور يوزع اوامره ذات اليمين وذات الشمال دخلنا الى «النزل» البائس في البناية الثانية برفقة المدير .

لكن الدخول ليس هيناً كما تعتقدون ، اولا : طلب منا ان نقف صفاً واحداً ، كتفاً الى كتف مع باقي المجرمين ، من شتى الاصناف « الجيدة » . في ممشى البناية الممتد طويلا كالحية الرقطاء فوق الرمال المحرقة ، وبدأ المأمور ، بأسم القانون ، بأجراء عملية التفتيش عن مهربات « كونترابندو » قنابل . . خطب ... وهذه العملية مع فظاظتها ، اشبه بعملية « مساج » تماماً ، فيدا المأمور « الناعمتان » تبدآن تدليكاً بأمانة ودقة زائدتين ، من قمة رأسك الى أخمص قدميك ... وما يكاد ينتهي احدنا من تحت يديه « البضتين » حتى يستلمه المزيّن الماهر « لا اراك الله وجهه » الذي يطلب منك ، وانت غير مخيّر طبعاً ، ان تتشرف تحت مبضعه لاجراء عملية (التواليت) وفي لمح البصر تخرج من تحت يديه برأس اصلع (ولا وبرة) خفيف الحمل ، لا يشعر به منكباك .

وعبثاً حاولنا اقناع المدير ان الموقوف في انحاء

المعمور يعامل معاملة استثنائية بالنسبة للمحكوم . لاسيما الموقوف السياسي . وهذا بديهي اذ ان الموقوف هو بمثابة امانة يدخل السجن مساء وربما يخرج منه صباحاً . والمؤسف ان قرار امين سر الدولة الاخير بهذا الخصوص جاء متأخراً فلم ينقذنا من هذه الورطة ..



استقبال حافـــل

✻

كان فرحنا عظيماً عندما علمنا ان الغرفة التي اختيرت لاقامتنا فيها مدة التوقيف، هي نفس الغرفة التي يقيم بها اركان وزعيم (الحزب السوري القومي !!) معللين النفس لاستجلاء بعض الغوامض ... (١)

لكن ويا للاسف، لقد تبددت تلك البهجة سراعاً اذ استبدلت غرفة اقامتنا هذه — من باب الحيطة — بغرفة سواها .. وهذا التدبير — الغير حكيم — كان على ما علمنا منعاً (للاحتكاك) الذي يخشى ان يتولد منه الشرر على .. ما اظن ؟؟

---

(١) قريباً سيصدر كتابي عن « الحزب السوري القومي » كيف انشئ . ولماذا دخلته . ولماذا انفصلت عنه . وموقف الحزب من القضية العربية . ورأيه في الديانات والعادات والتقاليد . وعلاقته مع احدى الدول الخ ..

واول من استقبلنا على باب « القاووش » رقم (٢) حشاش صعيدي رقم (١) .. مرحباً .

— يا اهلاً . . يا اهلاً . . تفضلوا ، في القلوب حليتو . . وفي العيون اقتوا .

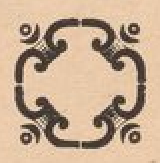
— ما شاء الله .. ؟ ؟!!

واسترسل صاحبنا في اظهار عواطفه « النبيلة » ثم التفت الى احد زملائه (الكيفيين) قائلا :

— حسنين ياواد ، يا اجعص ، قوم ، قوم يا ابن الكلب ركز « اليطق » .

— الله الله ... ؟؟ الله يا هادي ..

والحق نقول انه لو لم ينقذنا من هذا الكرم « الخنفشاري » احد ابناء البلدة ويدعى « رفيق » بدعوتنا الى « قرنته » لرافقتنا الغمة مدى الحياة ..





المساعدة « المتحجبة »

عندما دخلنا سجن الرمل خيرتنا الادارة بصفتنا موقوفين ، بين ان نسجل اسماءنا في دفتر الاعاشة اليومي ونا كل من طعام السجن (القروانة) وبين ان نستجلب طعامنا من خارج السجن او من بيوتنا — وهذه الحسنة في معاملة السجناء هي من بقايا عهد المدير السابق للسجن الشيخ حسيب عبد الملك ، وقد الغيت في عهد المدير الحالي الميمون القومندان « محمد جواد » — وكان طبيعياً ان نختار الامر الثاني على الاول .

وما استقر بنا المقام داخل غرفة التوقيف ا وذلك في اول يوم توقيفنا حتى اتانا احد الخدم مؤذناً ايانا بورود الطعام من بيوتنا وسلمنا وصلاً باسماء المأكولات المرسلة ، وفيما نحن نفرغ هذه الاشياء من السلة دخل

على غرفتنا ثلاثة خـدم وكل منهم يحمل بين يديه طبقاً
خشبياً ضخماً مملوءاً طعاماً وفاكهـة ، وعلب « التون »
والسردين والدخان . الخ . . وانبى . كل منا انا والاخين
محمد طباره ، وسامي سليم ، انها مرسلة لنا فلم نتعجب
للامر في اول وهلة ، وكان طبيعياً ان يتبادر لذهننا ان
هذه الوجبات الهائلـة من المأكولات ، هي من قريب
محب او صديق حميم .

لكن الذي لاحظناه ان الاشياء التي استلمها كل منا
بأسمه تعـادل وتماثل نفس الاشياء التي استلمها الاخر
والوصولات مذيلة باسم « رامز » ؟؟ رامز ؟؟ !! ومن
هو رامز هذا ؟؟ !! وتلفت كل منا ناحية صاحبه عله
يستوضحه جلية الامر ، لكن لا من ينبت ببنت شفة .

واخيراً استقر نظري عـلى الاستاذ سامي سليم ،
فهمست باذنه مستفهماً مستوضحاً .

ـــ يا استاذ ، اظنك ولا شك عرفته هذا الصديق
« المثلث » اليس كذلك ؟؟

ـــ الحق اقول يا عبدالرحمن ، انـه لم تربطني في يوم
من الايام علاقة الصداقة بواحد سمي بهذا الاسم .

ـــ اذن فهو قريب لك احب ان يشملنا بكرمه معك بصفتنا زملاء في « الجهاد » ؟؟

فاجابني :

ـــ وهذا لا ايضاً اذ انني لم اعرف واحداً من افراد العائلة يدعى بهذا الاسم !!

وهنا كان لا بد لي بعد هذا النفي من الاستاذ سليم ان استوضح الاخ طباره عله يعرف عن رامز هذا شيئاً فكان جوابه لا يختلف عن جواب صاحبه .

يا للغرابة ! رامز؟ من هو ؟ ... وما هي هذه العلاقة الودية النادرة التي تربطنا واياه نحن الثلاثة تلك التي دفعته لتكبدهذه المصاريف الباهظة، وبهذه الصورة من التكتم؟

والادهى ان صاحبنا المجهول ارسل يستأذنا ان نخبره وحالاً ـــ ايضاً ما يلزم كل منا من الدراهم ليضعها لنا في صندوق الامانات، ومن هم المحامين الذين نفضلهم عن سواهم للمرافعة عنا ليتفق معهم ؟؟

حقاً انه لغريب ، وغريب جداً ان تظهر هذه العاطفة الانسانية من صديق مهما كانت اواصر الصداقة التي تربطنا واياه متينة وقوية ، حتى من اي اخ كان خصوصاً

في هذه الايام القائمة المجدبة وقد نضب فيها ماء الاحسان والمعروف .

***

رامز .. بهذا الاسم ، بل بهذا اللغز بقينا نحن الثلاثة نحاول فك طلاسمه الغامضة المعقدة دون جدوى ..

وتعددت الارسليات وكلها من صاحبنا رامز.. وكل يوم يأتي لكل منا زاده كاملاً حتى « النقولات »!!

واقسم بالله انني لم اذق في حياتي طعاماً وشعرت بلذة وشهية في التهامه بقدر ما شعرت عندما كنت اتناول طعام رامز هذا ..

وكنا نفضل ان نوزع طعامنا المرسل لنا من بيوتنا على فقراء المساجين ونحتفظ بالذاد « المجهول .

***

وفي يوم سألني الاخ طباره . — واظنه قد حاول المداعبة والتسلية ليس الا — قوله ..

— ما رأيك ايها الاخ ، الا يمكن ان الحزب (يعني الحزب السوري القومي الذي كنا من اعضائه وانفصلنا عنه اخيراً لاسباب سوف ننشرها على الرأي العام) رغم

نقمته على حركاتنا السياسية ، وعدم رضاه عنها ، قد احب ان يظهر كرماً حاتمياً ، وتسامحاً عربياً - احم - فارسل لنا هذه المأكولات ؟؟ . .

فاجبته و كدت استلقي على ظهري من شدة ما تملكني من الضحك !!

— حقاً انك « عبيط » يا محمد . الا تعلم ، او هلا نسيت ماقالوه لنا « الجماعة » قبل اعتقالنا وبعده ؟؟

ولنفرض يا اخي ، انهم تناسوا « غلطتنا » او خطأنا !! وكان هذا محتمل وممكن من هكذا حزب نحو البعض من افراده ، فما هو السبب ، او ما هو هذا العطف الانساني السامي الذي دفعه لان يشمل في كرمه رجلاً كالاستاذ سليم ، ولا علاقة للرجل كما تعلم تربطه بالحزب البتة .

فسكت الاخ . وضغط على شفتيه خشية ان تنفجر تلك الضحكة العريضة الهائلة التي اشتهر بها . .

* * *

واخيراً : وعندما تركنا السجن انجلت لنا الحقيقة ، وهي ان هناك لجنة مكونة من خيرة شباب هذا البلد

علماً وثقافة ومروءة وحمية، غايتها جمع التبرعات والاعانات من المواطنين الكرام لمساعدة المساجين السياسيين على اختلاف مللهم ومذاهبهم السياسية او الدينية .

واللجنة لا تحجم ولا تبخل عن تقديم اية مساعدة تلزم السجين السياسي ، مهما كان نوع هذه المساعدة ، اللهم ان لا تخرج عن حد الامكان والمعقول المقرونين بالعدل :

فالى مواطني الكرام ، الى المخلص من ابناء هذه البقعة العزيزة من بقاع ارض العرب الغيورين ، الى الطبقات المثقفة والعاملة ، الى الباعة والتجار ، الى البحارة والعتالة والعمال والفلاحين ، الى كل فرد من ابناء هذا الوطن المنكوب ، اوجه ندائي الحار بمديد المعونة الى هذه اللجنة النبيلة . لتقوم بمشروعها الانساني كما يجب ، ولا يتكاسلن احد ولا يتراخى عن القيام بهذا الجزء البسيط من الواجب . نحو العاملين في الحقل الوطني ولاجل رفاهيته ومصالحه .

لا تستح ان تدفع القليل ، فالحرمان اقل منه

السياسة والعفو..

لا يكاد « الزبون » الجديد ، يأخذ مكانه في احدى غرف السجن بين البعض من مستقبليه او معارفه ـ والكرم وحسن الضيافة والانسانية من طبائع السجناء على اختلاف مشاربهم ، مجرمين عاديين كانوا وغير مجرمين ـ حتى يحيط به بقية من « بالقاووش » ، وبعد الترحيب وتنفيذ « البروتو كول » « وشو » دعواك ؟ وانشاءالله « بسيطة » تنهال عليه شتى الاسئلة وفي شتى النواحي ، وغالباً ما يكون السائل (رأس قاووش) اي اكثر زملائه نفوذاً ـ في حدود غرفته طبعاً ـ بينما بقية « الاخوان » خشوعاً مرهفين آذانهم ، محدقين بانظارهم .. لما يفاجئهم به « رسول » الدنيا ...

ولدن دخولي غرفة التوقيف لاول مرة فاجأني « العقيد » كغيري من السجناء الجدد بسؤال غريب لم اكن على استعداد البتة لان اجيب عليه ، قوله :

ـ شو يا اخ .. باللهعليك، شو بطمنا بمسألة العفو؟؟

وقبل ان تنفرج شفتاي عن جواب ما — و كدت الفظ النفي — تراجعت قليلا ، وآثرت السكوت هنيهة ريثما اختلق (كذبة) انقاذاً للموقف.. وخشية ان اكون السبب في انهيار آمال هؤلاء التعساء ، والامل هو التعزية الوحيدة المتبقية لهم من حطام هذه الفانية ، وضياء ساطع في ظلام الوحشة والخطوب ، ومرشد حاذق في يهماء الكروب ، وعلم هاد في مجاهيل المشكلات ، ثم قلت :

— نعم ايها الاخوان ، لقد قرأت في الصحف السيارة ، وسمعت من الناس ان اعلان العفو العام بات قريباً ، بل اصبح في حكم المقرر وذلك تيمناً بتسنم الرئيس الجديد - اي رئيس الجمهورية - كرسي الحكم .

* * *

وقبل ان اسمع صدى ما تركته كلماتي « الملفقة » العذبة.. في نفوسهم (المغناطيسية) - وقد لاحظت على القوم ، ان كلا منهم يجمع باله لما يسمع - اجبت ان استرسل قليلاً في (الفشر) اتماماً للفائدة .. فقلت !

— نعم !. وان رخاء البلاد ، واستقرار الحال . ومجيء الاستقلال امور لا بد منها فور انتهاء الازمة السياسية

في داخلية البلاد .

وهنا و كأن الغيث قد تساقط فوق ارض مجدبـة . فانعشها واعاد اليها نضارة الحياة وخضرة النبات ، او كأن هادياً يستحثهم على الايمان فأثرت فيهم بلاغته وبيانه فرفعوا اكفهم بالابتهال والدعاء . .

— ان شاء الله .. انشاء الله !. الله يسمع منك .

وساد الجميع سكون عميق..



امراض « ميكروبات » ! = عزرائيل ...



واول ما يلفت النظر في غرف السجن وينبه فيك حاسة الشم ، حتى ولو كنت من كوماً .. تلك الروائح « العطرية » المنبعثة من المرحاض المتصل بصورة مباشرة بالغرفة الا من باب يفصله نوعاً .

وكأن ذلك كله لا يكفي ، فذرات « ميكروب » الاوساخ — والتي هي جزء متمم — او شرط اساسي لحياة اخواننا « الدراويش » المنبثين في انحاء الغرفة ، وبكثرة زائدة ، تفاجىء خراشيمك ايضاً لدن تشريفك ..

والغريب ان المديرية = كما فهمنا فيما بعد = حظرت ان يكون في كل غرفة من غرف السجن « خدمتجي » دائم ، اي خادم منتخب برضاه من بين رفقائه السجناء كما هو معلوم عند زملائنا السابقين .. بل جعلت امر النظافة - لنشر العدل بالقسطاس - ؟ مناوبة بين السجناء ،

كل له يومه ، وهنا فقدت المسؤولية تماماً ، وافسح المجال امام «الميكروبات» تحتل الشرايين ، «وتستعمر» النفوس ..

وافظع ما يكون ان الغرفة التي قضينا بها بقية ايام محكوميتنا ضمت زهاء ثمانين سجيناً ، مع ان طولها لايبلغ اكثر من اثني عشر متراً ، وعرضها نصف ذلك العـدد ، وقد اضطر كل ثلاثة اشخاص ان يناموا ليلهم في فراش واحد ، « كبس » مثل السردين .. بينما توجد بناية برمتها وبها اكثر من خمس غرف واسعة جـداً خصصت لمائة سجين تقريباً ، بحجة انهم عمال في مشغل السجن ، ولبقية السبعمائة سجين ، عمنا «الحانوتي» . !!

وعندما يشتكي احد المساكين علة قد انتابته ، وهذا امر طبيعي لنقاوة الجو « بخ » لايؤبه به ، الا بطلب رسمي بأسم طبيب السجن ، يمشي بطيئاً اياماً عدة ، وهيهات هيهات ، ان يسبق عزرائيل ..



نزهـــة . . يوم الحشر . .

وينتهي ممشى كل بناية مـن بنايات السجن الاربع عن « فراندة » يبلغ طول اكبرها ثمانية امتار وعرضها اقل من ذلك ، محاطة بالقضبان الحديدية الضيقة والواح « التنك » العريضة ويواجه كل منها تماماً السور الحجري العالي الضخم ، والملتف بصورة دائرة حول « المسكونة » ؟. وهـذه « الفراندة » ــ كما تقول لائحـة السجن ــ هي منتزه ، او روضـة السجناء ــ انعم وا كرم ــ واروع مزايا هذه « الحديقة » تلك السراويل والثياب الوسخة ، المنشورة كأعلام الزينة ... وقد جللتها ، خطوط « القمل » المنظمة ، بشكل يسترعي النظر ... والانكى ان يترك بكل « فراندة » زبائن « قاووشين » اثنين عددهم يناهز المائة والخمسين شخص ـ كيوم الحشر ـ تمامـاً وجلهم ضعيف البنية هزيلها ، وقد شاهدنا بأم العين احدهم ، والمرض الافرنجي ، طغى على وجهه ورأسه والعياذ بالله ، يتجول بين هذا المجمع الزاخر ...

فأين المراقبة الصحية . وفي اي سبيل تنفق ميزانية المستشفى الخاوي .. ؟؟

والحبس مالم تغشه لدنية ...

❃

عندما صدر الحكم علينا نقلتنا ادارة السجن من بناية التوقيف الى بناية المحكومين الثالثة ، وكان نصيبنا ان اختيرت لنا الغرفة الاخيرة من البناية لتمضية بقية ايام محكوميتنا ، وما كاد الحارس يفتح لنا بابها الحديدي ، ونلج عتبتها الى الداخل ، حتى خلنا انفسنا اننا بين يدي عزرائيـــل ، او في وسط جحيم فظيع .. كتل آدمية مكدسة بعضها فوق بعض ، ولا مجال لان تضع قدمك البتة الا على الجثث .. وروائح كريهة هائلة تنذر بيوم الاجل .. «وشخصيات» بارزة في عالم الجرائم والسرقات .. اشكال والوان .. وكل واحد بهيئة . ! !

والحق اقول ، انـه لو استبدلت ايام محكوميتنا باعوام لما كانت وطأتها اعظم عـلى اعصابنا من اقامتنا في هذا الوسط المنعش .. المخيف ..

***

وقفت والاخ طباره حائرين زاهلين ، وكأن سلكاً كهربائياً قد صعقنا نحن الاثنين فلم نبد حراكاً ، ولا تلفظنا ببنت شفة ، حتى السلام نسينا القاءه على الجماعة ..

وفجأة خطرت لي فكرة .. فانتزعت من جيبي ورقة ودونت عليها كلمة للمدير .. وبعد قليل ارسل في طلبي لغرفته ولما مثلت امامه وسألني طلبي اجبته :

— التمس من جنابكم ان تأمروا بنقلنا من غرفة تضم ماية شخص تقريباً وهي لم تعد لاكثر من عشرين ، هذا حرام .. حرام ان ترهق ارواحنا خنقاً .!

فاجابني بجدة .

— انت هنا ، وفي السجن ، وانك تحت امرة القانون ويجب ان ترضخ للامر الواقع ..

— ولكن ..

فقاطعني قائلاً :

— ولكن ماذا ؟ ؟ يكفي انه صدر بحقك حكماً ما لتعد بنظرنا كباقي المجرمين !!

فانتفضت عند سماعي هذه الجملة وقلت له ماحرفيته :

— ايها المدير انا اعلم انك هنا بمثابة « ديكتاتور »

هائل .. يؤكد لنا صحة ذلك فهمكم القوانين بهذه النعومة.. الا انه ان كنت تعتقد ان محاولاتك هذه تقضي على انفتنا ، فخير لك ان تفتش عن وسيلة اكثر لياقة من هذه ، ونطمئنك اننا مادمنا «مشرفين» بنظر سواك طبعاً.. فلا تضيرنا الاقامة بهذه الغرفة الملعونة او الزندان الرهيب المعد لاخطر المجرمين ..

وهنا تململ حول مقعده وانتصب واقفاً وقد اخذته الحدة كل مأخذ وقال :

— قلت لك ولم ازل اقول انك لا تختلف عن باقي المجرمين في نظري — طبعاً — .. ونظر القانون افهمت !.

وقبل ان اهم بالانصراف من حضرته وقد اسكرتني عذوبة الفاظه .. قلت له :

— نعم فهمت !. لكنني اختلف عنهم في شيء واحد ياحضرة « القومندان » وهو انني لم اعاشر « القوم » مدة معاشرة « سواي » ؟؟ لهم !!

وخرجت ولسان حالي يردد قول الشاعر الكبير علي بن الجهم .

قالوا حبست فقلت لست بضائري
حبسي واي مهند لا يغمد
اوما رأيت الليث امّ عرينه
كبراً واوباش الوحوش تردد
والشمس لولا انها محجوبة
عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والحبس مالم تغشه لدنيـة
شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدد للكريم كرامة
ويزار فيـه ولا يزور ويحمد
فبأي جرم اصبحت اعراضنا
نهباً يقسمها اللئيم الاوغد

تسليـــة السجناء

■

كثيراً ما تنقلب غرف السجن، خصوصاً غرف التوقيف، الى ما يشبه صالات الرقص والتمثيل فهذا الحشاش، وقد حيل بينه وبين «بزرة الكيف» وافلس ايضاً من اعقاب الدخان، يتهادى ملتوياً مترنحاً في صحن الغرفة فيقول:

يا اجاويد، الله لايجربكم .. داعيكم خرمان .. حنوا علينا بسيكارة!

وقبل ان «يحسن» عليه احدهم «بسيكارة» يطلب مقابلها منه، ان يريه براعته في الرقص ... وهنا تسمع «الاوركستر» الشجية توقع انغام «التانغو»!! ومادتها تنك الذبالة ..والصحون، ويبدأ صاحبنا بهز اعطافه، في براعة فائقة اشبه ببراعة الراقصة بديعة مصابني في رقصها الفتان..

وعندما يدخل زبون جديد من المغفلين في الحياة

يستعد له الجميع « للتقريق » عليه .. فيلتف حواليه نفر منهم في شبه حلقة مستديرة .. وتنصب عليه شتى الاسئلة ليقفوا على حقيقة قضيته او ما يشبه الحقيقة ..

وفي هذه الفترة ، ينسل احدهم ، الى المطبخ وقد تزود من ثياب السجناء ما يكفيه لان يظهر بمظهر « مدع عام » عن حق وحقيق .. وبعد فترة من الزمن يبتدئون بتمثيل الرواية .. اذ يدخلون في روع المسكين ان المدعي العام سيأتي اليوم .. لتفقد احوال السجناء ، ويقول احدهم وكأنه تذكر شيئاً خطيراً ..

— الساعة تقارب السابعة زوالية .. وقد آن حضور المدعي العام ...

وهنا يتظاهر الجميع بالاهتمام الزائد ، بان يعتنوا بهندسة هندامهم .. « ويطقاتهم » .

وبينما المسكين في ذهول واهتمام لما يسمع ويرى ، تدوي في الغرفة قرقعة قوية ، ويهب الجميع وقوفاً في اربعة صفوف منظمة حوالي الغرفة ، بما فيهم صاحبنا « المقصود » ويدخل المدعي العام .. الموهوم بقبعته العالية ، ونظاراته الواسعة فوق انفه الكبير الشامخ .. وقفازاته الجلدية

الثمينة وهندامه البديع .. ومشيته المعتدلة .. متبختراً جيئة وذهاباً .. وبعد مرور ردح من الزمن ، والجميع في سكون وجمود .. رهبة واحتراماً .. يتوجه الى قفص الاكل ، ويبدأ التفتيش بالقروانة ، فيكون اسبق منه الى الصحون احد السجناء « المتمرنين » .

المدعي العام — ماهذا ، ماهذا ؟؟ . هل تأكلون جيداً ، وهل الطعام كفاية ؟؟

— نعم .. نعم .. ياحضرة «الاكسلنس» منا كل مليح وكتير .. وهذا النوع هو ملفوف وقرنبيط ، طيب دوق » .. « ويقدم له صحن القروانة الشهية ..

وبعد ان يتراجع « المدعي العام » خطوتين الى الوراء مشمئزاً يقول :

— بون .. بون .. ويلتفت الى آخر ويقول :

— وانت شو دعواك ..

— والله يا سيدي انا مظلوم .. حبسونا هيك ...

— جميل جداً ... منشوف دعواك ..

— وانت .. وانت .. الى ان يصل الى صاحبنا السجين الجديد .

— وانت .. ؟ شو قصتك ؟؟

— آ .. أ .. مسألتي ..

فيقاطعه « المدعي العام » قائلا :

— ها ها .. انت فلان .. ودعواك كذا .. طيب .
بكره « بتجي » العدلية حتى نشوف ..

— شكراً .. شكراً ..

— نو .. نو .. اسمع .. اسمع .. ماهذه الثياب
الوسخة التي ترتديها .. هذا ممنوع .. اشلح اشلح !!
ولايزال به — بأسم النظافة والصحة وهذا « ميكروب »
وهذا وسخ .. حتى يتركه في سط الغرفة « ربي كما
خلقتني » بين عاصفة من الضحك والصراخ ...

★

صالون «ابي عفيف»؟؟

و غلاء المعيشة...

لعلة لم نفهمها قـط ، منعت ادارة السجن في اوائل اذار قبول الاكل من بيوت السجناء ، الا في يوم واحد للمحكومين ، هو يوم الاحد ، ويوم الخميس للموقوفين فقـط ، واباحت مشتراه من حانوت السجن ، الذي « ورث » ابا عفيف بأسعاره ، ـ ولا اقول بجودة طهيه ـ فالمتعهد يتقاضى اضعاف اضعاف ثمن حاجياته ، رغم التعليمات في لائحة السجن ، فصحن الفول مثلاً [وحباته تكاد تحصر بعدد الاصابع] بخمسة غروش ووقية الزيت النباتي بستة غروش وسعر الرطل في السوق لا يساوي اكثر من خمسة وثلاثين غرشاً !! وهلم جرا ... مع ان ميزانية السجين «الموثر» لاتترك مجالا للطمع ، فما قولكم في ـ المنتوف ـ مثل داعيكم ؟؟

بقي امر =القروانة = (حرمت عليك) فقد عفت عنها [مع قلتها المتناهية بالنسبة لعدد السجناء] حتى

بطون « الدراويش » الخاوية !! ملفوف قرنبيط مسلوق « شَلَة بَلة » وهات بقى تلك المعد الفولاذية .

وعندما يقدم للسجناء نوع من الحبوب المسلوقة مقبول نوعاً ، كالفاصوليا والحمص ! يشتغل الهرج والمرج « وطرطقة » الصحون ، والتناحر في المناكب وينحني السجناء بعددهم وعدتهم فوق « القروانة » كما ينحني النسر فوق فريسته !! ويا ليت مقدار ما يصيب الواحد يكفي « لغدوة » عصفور !

« سطل » ونصف « السطل » ثلثاه ماء « مرقة » توزع على ثمانين شخص تقريباً ، واعتقد جازماً ان هذا المقدار من الطعام الموزع على مثل هذا العدد الهائل لا يكفي « فروطو » لاحد الاخوان « الاكيلين » وهم لله الحمد كثر في السجن ..

وكان طبيعياً قبل قرار ادارة السجون ـ ذلك امرها لا معقب لحكمها فيه ـ بمنع قبول الاكل ان « يتلحوس » فقراء المساجين ، والمحرومين من الاهل منهم ، من زاد رفاقهم الخارجي . فكأن المديرية بتدبيرها هذا « ياهول التدبير » قد حكمت على هؤلاء البؤساء بالموت جوعاً

طيف امين السر ..

يقض المضاجع

ولا يسعنا ونحن في هذه العجالة الا ان نرسل كلمة شكر بالنيابة عن عموم السجناء وبالاصالة عن انفسنا ايضاً ، لسعادة امين سر الدولة الدكتور ايوب ثابت الذي ادخل تحسينات ملموسة — ولو موقتاً — على عموم مايختص بالسجن والسجناء ، خصوصاً الطعام ، و... النظافة .

وخلاصة الخبر انه سرت اشاعة مفادها ان امين السر يبغي زيارة السجن وتفقد احواله ويظهر ان المسؤولين خشوا العاقبة ، فصدرت التعليمات « بالاكسبريس » شطف وطرش ، وتنظيف .. واضطر المتعهد ان يستبدل مسطرة خبزه العادية بأن اشترى عيشاً نظيفاً ، من فرن « الارزة الشهير » وقدم للسجناء احسن الاطعمة وافخر اللحومات « الدامة هالطول » ، فأكل الفقراء هنيئاً وشربوا مريئاً ، ودعوا طويلا لامين السر بالبقاء « ولشبحه المخيف المرعب بالمثول ... دوماً وعلى الدوام .

« غاندي » السجن ...

وهذا فصل احينا ان نختص به الاستاذ « سامي سليم » او « غاندي » السجن كما لقبه بعضهم ، وذكر حوادثه ، ونوادره المؤلمة ..

وقبل ان نبدأ الحديث عنه نرى لزاماً علينا ان نرسل تحية اعجاب وتقدير له لخلتين اتصف بهما ، هما الصراحة والتضحية .. وهل يعوز الرجل المخلص النزيه سواهما ؟؟؟

وأنني اقسم غير حانث ما صادفت رجلاً مدى اعوام رشدي قتل في نفسه الانانية وحب الذات واحب الخير لسواه اكثر مما يحبه لنفسه ، بل انكر على نفسه ما هي بأقصى الحاجة اليه ، في سبيل نفع سواه ، كالاستاذ « سامي سليم » .

وان كنت آسف لشيء . فأسفي انني ما عرفت الرجل اقول « الرجل » وهو ليس كأكثر الرجال .؟؟ وليس كالمرائين الدجالين !! الا مصفداً .. لكن عزائي ان رجولته الحقة على ما تأكدت لم تدنس بعار التكبيل .. وعلى

كثرة تكرار اعتقاله والحكم عليه، فلم يكن في مرة منها «مجرماً» مشيناً .. بل حراً ابياً .. شريفاً كريماً

فعندما وطئت قدماي عتبة النظارة المشؤومة، خلت نفسي في وسط جحيم قاتم .. فاتك، فهناك روائح كريهة تصدم اعصابك، ولا ترتد عنها الا بعد ان تتركها مدحورة مهزومة .. وجو خانق معتم .. وكان اول من تبيناه على نور «الخمس شمعات الكهربائية الساطعة .. والمعلقة في كبد «الخان» الواسع .. هو الاستاذ سامي سليم، كما جاء في بداية المذكرات، وبدون ان يعرف لون احدنا ونوع قضيته، ومن غير سابق معرفة .. نفض عنه حرام النوم .. وانتصب واقفاً مرحباً.

ـ السلام على الشباب .. تفضلوا .. تفضلوا .. لا تزعلوا، «عمر وبيمضي» شرفوا شرفوا ..

واين نتشرف؟؟ بلاط مشقوق رصف في وسط الغرفة منذ عهد «نوح» تعلوه طبقة كثيفة من التراب الممزوج برطوبة الشتاء، والاوساخ المنتنة ...

ولا شيء في جوف الغرفة سوى فراش ضيق جداً، اضطجع فوقه شخصان عدا الاستاذ المذكور .. لكن

حياه الله تنازل عن مكانه ، واستأذن رفيقيه لان يفسحا
لنا مجالا للجلوس بعد ان قدمنا للمذكورين بالافرنسية
وبدون ان يعرف هويتنا واسماءنا ،لكن على اعتبار اننا
اخوان في النكبات ... او على الاقل احفاد لآدم وحواء..
وقدمهما لنا هكذا !.

— هذان شابان يهوديان — لعنة الله على الصهيونية
ومطامعها الخنفشارية — من المانيا قبض عليهما وهما على وشك
تخطي الحدود الفلسطينية .. لكن على كل .. الا ترى انهما
لا يخرجان عن كونهما ، اخواناً لنا في البشرية ؟؟

وقد فهمنا ان الفراش يخص الاستاذ ولم يحب — لله
دره — ان يستأثر به في ليلته ويترك صهيونيين هما اعداء
قضيته القومية السياسية تحت رحمة البرد ، بل جعل
المسالة ولو في الفراش فقط ، اشتراكية .. فتامل ...

واظرف ما اذكر عنه في تلك الليلة ، انني والاخ
« محمد طباره » استلم كل منا من اهله « طراحة » ضيقة
لنتخذ منها فراشاً موقتاً ، وما كدنا نلتف « بالحرامات »
استعداداً للنوم بعد ان قضينا سهرة طويلة .. حتى دوى
في افق الغرفة صوت من الخارج هو صوت الحارس ،

وقد ارتعد البنيان من صراخه ، يسب ويشتم ، ومن ؟ ؟ هذا سكير عربيد ، كان يتصدى للمارة معاكساً ، وقد اتت به دورية الليل ليقضي ليلة بين ظهر انينا ..

اتعلم ايها القارىء الكريم ، ما هو موقف الاستاذ سليم من هذا المسكين ؟؟ بعد ان دفع الغفير بالضيف الجديد لداخل الغرفة ، وانتحى هذا ناحية في اقصى الغرفة يكيل الاهانة تلو الاهانة لكثير من ذوي الحيثيات ، وبعد مرور ردح من الوقت ونحن شاخصون لما نرى ونسمع بادرني الاستاذ سامي بقوله :

— انت واخوك محمد احتللتما فراشيكما ، ونحن الثلاثة « امنّا » فراشنا ايضاً ، وهذا المسكين .. ايلتحف « البلاط » ؟؟

لا لا .. اقترب يا هذا . ونم مع هذين — اشارة لليهوديين — .

ثم يلتفت الي ويسألني :

اذا كنت تسمح لي بالورقة التي تحت فراشك .. فهي تكفيني .

لقد اقتنع ، بورقة « كبيرة نوعاً » كنت جلبتها معي

ومددتها تحت الفراش « بالنيابة » عن الحصر والسجاد !!
وبعد لاي وتردد طويلين قنع ، « واذعن » للامر الواقع
ان ينام معنا جميعاً ، بعد ان الصقنا « اليطقات» سوية ..

هذا وقد فاتنا ان نذكر ان محكمة بداية بيروت
المختلطة اصدرت حكماً مشدداً بحق الاستاذ سليم ، اي
بسجنه شهرين ، مع ان « جرمه » المزعوم ، هو انه شاهد
اثنين يتخاصمان صباح يوم اعتقالنا ، اي يوم اضراب
بيروت في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٣٦ هـذا يطعن في
ملة خصمه ، وذاك يشنع في مذهب الثاني فتدخل بينهما
وقد هاله ان ينحط مستوى الشبيبة لهذا الدرك ، وان
ينكب الوطن بحشرات قاتلة كهذه فقال :

ــ ماهذا ياهو..شو مسلم .. وشو درزي ونصراني..
يهودي اوشيعي .. نحن كلنا ابناء وطن واحد ! لقد آن
لنا ان ننبذ تلك النعرات الطائفية السخيفة ..

وفي هذه الاثناء صادف مرور بعض رجال التحري
الميامين ، الذين امضهم انهم لم « يستفتحوا » في يومهم
ذاك ولا « بزبون » يبيض الوجه .. فأمسكوا بتلابيب
صاحبنا وساقوه للدائرة ومنها الى المحقق الاجنبي ، بتهمة

خلاصتها : القاء الخطب المهيجة ، وتحريض الناس على الاضراب.و...و..

قلنا ان الحكم صدر مشدداً على الاستاذ ، الامر الذي حداه لان ينقطع عن الطعام بتاتاً احتجاجاً على الحكم ، وعبثاً حاولت مع بعض الاخوان اقناعه بالعدول عن فكرته ، واذكر انني قلت له يوماً ، والالم يقضم حشاشتي وكانت قدظهرت عليه علامات الخور والضعف الشديدين .

ــ يا استاذ ،هذا حرام .. هذا انتحار .. اشفق على نفسك !.

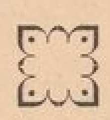
فكان جوابه تلك الجملة ،ارسلها بعدم اكتراث البتة ، والابتسامة تعلو شفتيه الجافتين .

ــ القصد ... سيان عندي مت ام عشت ، يكفي انني « عرّفت » الناس عن فظائعهم ...

ومرت ايام عدة وهولم يزل مضرباً، وذهبت جميع حيل الادارة في سبيل حمله على الاقلاع عن تلك الطريقة سدى الى ان تلاشت قواه تماماً ، وسكنت اعصابه ، وكادت شفتاه تطبقان للابد ..

عندها نقلته ادارة السجن الى المستشفى ، وخرجنا

من السجن ولا نعلم من امره الا ما ذكرت الى ان قرأنا يوماً في الصحف ان البعض من اصدقائه استأنفوا له دعواه لدى محكمة استئناف بيروت المختلطة ، وكانت النتيجة ان عدل عن الاضراب مكرهاً بعد ان استعملت معه شتى الاساليب الطبية .. وبعد حين يسير مثل امام محكمة الاستئناف ، التي احبت على ما يظهر ان تظهر كرمها الحاتمي .. فقررت زيادة ايام « الضيافة » شهراً فوق الشهرين .. للنقاهة .. وتبديل الهواء .. في منتزه « محمد جواد » .؟؟



الانفراد ؟

وبالفعل فقد وضع الاستاذ المجاهد — الداعية الوحيد الى اللاعنف في سوريا — في غرفة الزندان اياما ثم نقل الى الانفراد زمنا فاحتمل هذا العقاب الجائر — وهو سجين سياسي ولو لم يشأ القومندان محمد جواد ذلك — بصبر وجلد ، حتى اطلق سراحه في ٢٤ نيسان سنة ١٩٣٦ حيث انتهت مدة حكمه ، واعيدت اليه حريته الغالية حياه الله .



بين الاشغال الشاقة

✻

بلغ الاجحاف بالمسجونين غايته ؛ ووصل العدوان فيهم نهايته ، ولم يبق فرد منهم الا وقد مسه الضر من افراط المهيمنين على شؤونه .

اذ كثيراً ما يساق المحكومون مهما تدنت مدة محكوميتهم او تنوعت « جرائمهم » الى الاشغال الشاقة ، في نقل الحجارة والرمال للملعب « المشترك » الشهير وغيره — وبدون اجرة — اللهم الا الاهانة يكيلها لهم الضابط « بشير بكار » المولج بمراقبة « عبيد ابيه » ..

— يا عكـ .. اشتغل .. ويا ابن الكلب مشي ..!!

ولا ينفك جنابه يلوح لهم بسوطه المجدول كالماعز ، او البقر ، وعندما يجرأ احدهم ويظهر امتعاضه من هذه المعاملة ، فالويل له ، اذ النقمة تلازمه ، « والزندان » ينتظره ...

ويضيق المسجونون ذرعاً من معاملة الضابط المذكور

المغايرة للعدل والانصاف وكان طبيعياً ، ان تثور في نفوسهم ، تلك الكرامـة الراكدة بعد ان تحملوا من غطرسته ما ينوء تحت ثقله الجماد . خصوصاً وقـد صمت الاذان عن سماع اناتهم ، واقفلت الابواب في وجـه شكاياتهم ، واخيراً صمموا ان ينهجوا خطة الاعتصاب المدني ، — ولا ادري من اين تسرب اليهم ؟؟ — . ذلك الاعتصاب البعيد عن المسؤولية ..

وصباح يوم .. جاء المأمور كعادتـه يدعو افراد غرفتنا للشغل !

— القاووش الثاني عالشغل ! .

لا من سميع ، ولا من مجيب ..

— اشباكم ، اشباكم . ؟ ما بتسمعوش .! عما نقول عالشغل !

فكنت تسمع لصوته الضائع ، رنة هائلة ، تجاوبتها اركان الغرفة الاربعة .

— ها . ها ... عاملين كريف .!!

وبحركة « هتلرية » عصبية اوصد الباب .

وبعد مدة فتح الباب ودخل احـد الانفار ، برفقة

بعض الضباط ، ودعونا للخروج الى الشغل ، فكأن ابلغ ما اجيبوا به ، تلك الحركة الهادئة ، والسكوت التام ، وكأن القوم لا يعنيهم من الامر شيء .

لكن مما يدعو للاسف ، ان اذعن اكثرهم اخيراً للامر الواقع ، تحت تأثير التهديد والوعيد .

—«منزندنكم» منحرمكم الاكل» والمواجهة» وماشا كل» .

فخرجوا الى الشغل مطأطئين ، وكان اول ما بادرهم به حضرة الضابط «بكار» وعلى سبيل الترضية لخواطرهم ؟؟ هذه الجملة :

— خبروني انكم عملتم كريف بحيث ما بتحملوا الاهانة ! طيب ، ما بقى منحكي معكم الاكل مليح ، بس اشتغلوا متل الاوادم !.

وهنا تغيرت لهجته وملامحه ، اذ حانت منه التفاتة لاحد العمالقة ، وقد توقف هنيهة عن الشغل ، ريثما يمسح عرقه المتصبب على جبينه فصرخ به قائلاً :

— يا جحش .. يا عكـ .. لا تخليني كيللك !.

بهذه العبارات العذبة ، والمنتقاة من معاجم الكتب اللغوية ، اراد جنابه ان يصلح « الطابق » مع هذه

الاصنام المنحوتة .

ونحن نسأل « قومندان » السجن ورؤساءه ، هل المديون ضحية الازمة مثلا وقد جاء يقضي مدة في السجن « كفارة » عن بضع ليرات عجز عن دفعها ، قد صدرت بحقه علاوة عن مدة ايام محكوميته ، احكام الاهانة والتعذيب ؟؟

او هل هي مادة جديدة كمادة قص الشعر البالية ، تلك المعاملة الشاذة اضيفت ودرجت في قوانين السجن ايها المسؤولون ؟ ؟

الحمـــام « والسيبان » !؟

✻

في اقصى البناية الثالثة من سجن الرمل تنزوي حجرة ضيقة جداً « زندان سابقاً » تحولت فيما بعد الى حمـام ، لا تشتعل نيرانـه الا في كل شهر مرة او مرتين فقط ، وفي داخله اربعة حواجز اشبه بحواجز الخيـل .. الا ان حواجز الخيل تمتاز عن حواجز الحمام هذا بأن لها باباً يستر « الدواب » .. والفضيحة تتمثل في الثاني ...!

يدخل كل ثمانية اشخاص لداخله صفاً عسكرياً .. عراة تمامـاً « ربي كما خلقتني » تطبيقاً لمـذهب العري وشريعة الشيخ « حبيش » .. ولا يستر عوراتهم شيء الا ما جللها من السواد ...

يبدأ القسم الاول . وعدده اربعة اشخاص بالتحميم تحت « الدوش » المضاعف « للسخونـة » .. بينما القسم الثاني قد امسك وبكلتي يديه .. بعض اعضائه .. خشية

التقلص . وقد ازهلته رهبة الموقف .. والمناظر ...

وفي لمح البصر وقبل ان تعلو قطعة الصابون رأسك ينتهرك « الحمجي » وهو سجين عجمي ، صلف المراس ، بأنتهاء الدور .. ما لم تشفع بك الخمسة غروش ..

— يالا .. يالا .. خلاص .. اخرج انت وهوه ..

وهكذا .. الى ان ينتهي استحمام جميع المساجين ، بهذه المهزأة .. المضحكة ..

ولا تسل عن « القمل » والسيبان .. وما يتفرع عنهما ، تنسل الى طيات ثيابك المعلقة في « البورت شابو » هادئة مطمئنة ..



« بـــدنا » العفو ...

لا يحتك مدير السجن بالسجناء الا ماندر، فجنابه لا ينفك محاصراً غرفته لا يتعـدى عتبتها الا قليلا ، كأن الامر وما فيه ان يحصر مهمته في ضبط عدد « ضيوفه » فقط ، مـع ان السجين احوج ما يكون لرؤية المدير في كل آن اكثر من حاجته الى الطعام ، فمن شكوى يرجو ان يبثها اياه ، الى مطلب لا يجوز ان ينشده عند سواه ...

وعندما يحدث ان « يمن » عليهم بزيارة « زوروني بالسنة مرة » لا يجنون من ورائها الا الهزء بهم والسخرية من مطالبهم .. مثال ذلك انه فوجئنا ذات يوم بدخوله غرفتنا مفاجئة ، فتهللت الوجوه ، وصفقت القلوب .. وكيف لا تفتر الاسنان . ولا ترقص الافئدة ، والارض

عطشى .. والغيث لا بد من تساقطه ..؟؟

فأنتصبت الهامات احتراماً .. ونطقت القلوب سلاماً .. قبل الالسن ..

— يا شباب .. مرحباً ..

— اهلاً وسهلاً .. اهلاً وسهلاً .!

— احم .. حدن بدو شي ، حدن بيطلب غرض ..؟؟

وكان طبيعياً ان لا يطلب السجين ما تعجز عنه السماء . ولا يتمنى على المدير ما هو في غير متناول البشر.؟ او موجودات مستودع السجن على الاقل ..

— قطعة صابون الله « يخليك » .. القمل « اكلنا ».

— شوية فينك الاوساخ والروائح.. « هلكتنا ».!!

اتعلم ايها القارىء الكريم بماذا اجابهم ..؟

— شوهيدا .. شوهيدا .. نحنا عما نسئلكم بهيك مسائل ؟؟ شوهالطلبيات الفارغة ..!!

وكأن جنابه يودان يقول « هذه طلبيات لا تتعادل ورهبه الزيارة..والاجدربكم ان "تتوسعوا" في المطالب ؟؟.

فأنبرى له ظريف وقد فتقت له النكتة فقال :

— سيدنا .. اذا امرت « جبلنا » العفو ..

المسرحون من السجن

مما يترك الالسنة تلوك شتى الاقاويل في ادارة سجن الرمل ، وعدم تقريظها في عمل ما ، تصرفاتها الشاذة تلك ومعاملتها السجناء بكثير من العنف والشدة دون اي مبرر ، خصوصاً تلك القرارات العديدة يصدرها «قومندان» السجن بين آن وآخر ، دون ما مناسبة البتة غير التضييق على السجناء والحؤول دون اية بادرة يمكن ايصالها اليهم .. فبعد قرار امين سر الدولة المشهور بالغاء امر قص الشعر للموقوفين ومحكومي الاحكام البسيطة ـ مع العلم ان جناب مدير السجن كان متحمساً جداً «لخرط» شعور الجميع ـ هاله الامر كثيراً على ما يظهر بدليل انه ما عتم ان اصدر قراراً على انقاضه ، بل قرارات عدة ، ليس في احداها الخير والبركة ... ومن جملتها عدم السماح لاصدقاء ومعارف السجناء بتزوارهم البتة . حتى وصل به الامر ايضاً ان اصدر امراً يمنع بموجبه قبول الهدايا للسجناء ،

حتى في ايام الزيارات العادية، من اي فرد كان من الخارج قريباً كان او غريباً، الا الحامل ورقة الزيارة الرسمية لوحده ..
وقد نتج من جراء تلك الاساليب غير المستحبة طبعاً والمجحفة بحقوق السجناء ان استنكر السجناء هذا العمل واعلن بعضهم الاضراب عن الطعام اضراباً تاماً ما لم تعدل تلك القرارات « المسلوقة » حالا .. وكالعادة .. لجأت الادارة الى التهديد والوعيد دون اخذ هابعين الاعتبار مشروعية الطلب ..

والانكى انه عندما تنتهي مدة محكومية احد السجناء ، وتعلنه ادارة السجن بذلك ، يتعنت رجال الدرك بتكبيله وتصفيده بالسلاسل كما لو كان مرتكباً جرماً « طازه » . كذا .. وبأمر من المدير طبعاً . !

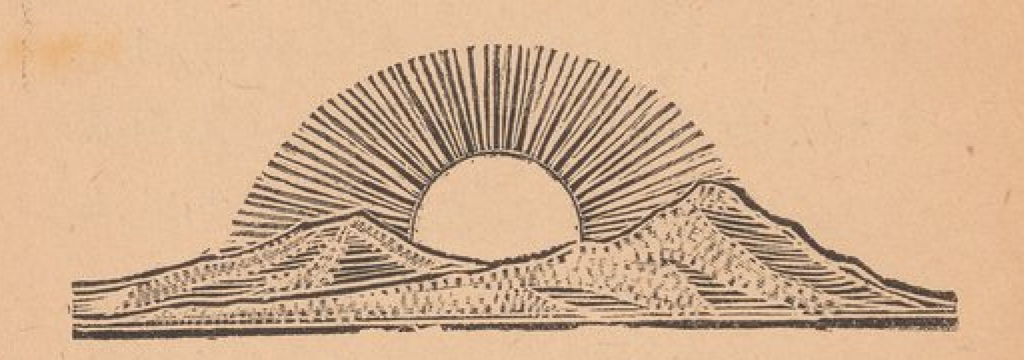
وعلى هذه الصورة يبقى ذلك الشخص وقد انتقل من ذمتهم الى ذمة نفسه مصفداً ساعات عدة الى ان تنتهي المعاملات الرسمية البطيئة .. المعتادة في مثل هذه الاحوال .

فهل لادارة السجن العتيدة ان تبين لنا وجهة نظرها في ذلك ؟ ؟

وهل تعتقد او تخشى ان يفر السجين مهما انحطت

انفته وكرامته ، من طريق الحرية ليعود الى احضان عبوديتهم ثانياً ؟؟

متناقضات ..!!



الى الحريـــة

وهكذا قضينا مـدة سجننا القصيرة ، حتى انتهى الاسبوعان بين اشباح تترى امام اعيننا ، و كنـا و كأن الامر لا يعنينا منه شيء ــ غير تدوين بعض الملاحظات ــ مـع الركون الى الراحـة ، والاستلقاء على الفراش ..! اتجاذب والاخ « محمـد طباره » ذلك الصديق المزمن .. الملازم .. شتى الاحاديث ، طرفاً من النهار وزلفاً من الليل ، حتى اجتزنا مدة الضيافة ، وهي كالحلم اللذيذ .. ــ لا والله وبالله !؟ ــ تؤنسنا نهاراً تلك « المحاضرات » الراقية يتناوبها حضرات المأمير .

ــ عالنصت يا اوادم .. لح نبلش بـ .. !! وتطربنا ليلاً « قيثارة » احد « الهمشريات » الكيفيين .. قح قح ..!

وكان صباح الاحد الواقع في ٩ شباط سنة ١٩٣٦ يوم الحرية ..

فتركنا « مستعمرة » .. « محمد جواد » غير آسفين ، ولا نادمين ..!؟



كلمة لا بد منها

❋

اما وقد انتهيت من « مذكراتي » عن سجن الرمل المرعب ٠٠ وسرد ما علق بالذاكرة عنما يجري داخله من غرائب وفظائع ٠! فلا بد لي من كلمة صريحة ارسلها خالصة للرأي العام والحكومة القائمة اولا ، ولمدير السجن واعوانه ثانياً ، وهي انني ما توخيت الا الصدق والامانة في الرواية. وبعبارة اكثر جلياً اقول :

انني لم ادون فيما كتبته الا النذر اليسير عن بعض مشاهداتي داخل « قبر الاحياء » في سجن الرمل ، وانا اتحدى كل انسان وكل فرد جاء ذكره في هذه المذكرات اذا حاول تكذيب بعض وقائعها المذكورة ، ونحن على استعداد تام لان نحتكم — ومع اي كان — من اصغر مأمور — في السجن ، الى اكبر موظف حتى المدير المسيطر « محمد جواد » — امام المحاكم المختصة اذا اراد ذلك ٠٠ حتى اذا تمكن احدهم ان ينفي عن نفسه ما اتهم به ، = وهذا غير

معقول سلفاً — فانا لا نتورع ان نتحمل اية مسؤولية كانت ، وبكل طيبة خاطر ..

الا انه يجب ان يعلم الجميع — لا سيما مدير السجن — انه في حال تمكنهم من كسب الدعوى .. لا فرق عندنا الاقامة في الجنة او غيرها .. كما لا يضيرنا العودة الى السجن او الى جهنم .. ما دمنا نعتقد اننا نخدم عقيدة ومبدأ هما النضال ضد الظلم والظالمين . والكفاح ضد الاستعباد والمستعبدين !! وعندها فلتكن النتائج مهما كانت . . فاننا نتلقاها بكل غبطة ورحابة صدر .. بشرط ان يعلم الجميع ايضاً وايضاً . . ان العذاب والاضطهاد السجن او الابعاد لا تزيدنا الا تمسكاً بهذه العقائد . . «والحبسة» الاخيرة هذه .. ليست .. نعم ..

ليست الاولى ولكن — سوف تغدو الفمره
فعذابي واضطهادي — لاعتقاداتي مسره
ما اضاع السجن يوماً — لاخ الاحرار قدره
من اذا خطب رماه — بالذي يأبى ويكره
لا يبالي بالرزايا — وبما ساء وضره

***

ليس بعد السجن الا امة تصبح حرة ...

هذا بالنسبة الينا شخصياً .. اما الغاية الحقيقية التي دفعتنا لنشر هذه المذكرات المدهشة ، فهي لاجل لفت نظر ولات الشأن ، الى ان السجن — والغاية الاساسية منه اصلاح خطأ الرعية — قد انقلب الى « معهد » هائل لاعداد المجرمين ! . اذ كثيراً ما يدخل السجن اناس لامور تافهة جداً ، فيصبحوا بعد حين من تركهم السجن ، من اروع المجرمين خطراً ! . وذلك كله بسبب احتكاكهم بطبقة من هذا النوع في داخل السجن . تركوا لمشيئة ابليس ! . فكان طبيعياً ان « تتنور » افكار هؤلاء الضحايا ؟ « وتنضج » في نفوسهم روح الشر .. بعد ان كان بالامكان تقويم اعوجاجهم ، وتوجيههم الى نواحي الخير لو احسنت معاملتهم مع الآخرين !! وذلك ليس بالعسير على الحكومة ابداً لو انها اوجدت في كل سجن من سجونها فرعاً لتعليم الجهلة من السجناء وتهذيبهم — واظنها لا تتكلف قليلا ولا كثيراً على هذا المشروع الانساني الجليل الفوائد ، اذ كثيراً ما يمكنها الاستعانة ببعض السجناء المتعلمين ، وهم لله الحمد كثر في هذه الايام ..

فعسى ان تعمل الحكومة القائمة الآن على اصلاح اخطاء من سبقها من الحكومات المتعددة ..

فيهبط « بارومتر » الجرائم نوعاً وتتنفس سجون الوطن قليلا بعد ان ضاقت على رحبها — عن استيعاب « نزلائها » ؟؟

وبذا تخدم نفسها والرعية معاً !.

عبد الرحمن معروف العدو

